ملكنا وهربنا الى ارض النوبة فبعث اتبعني من اصحابي فسمع ملك النوبة بي
فاتى وقعد على الارض ولم يقعد على فراش افترشته فقلت له الا تقعد على
ثيابي فقال لا فقلت ولم قال لاني ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لامر الله تعالى
اذ رفعه الله فقال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطؤون الزرع بدوابكم
وهو محرم عليكم ولم تلبسون الذهب والفضة والحرير والديباج وهو محرم
عليكم فقلت زال عنا الملك فقل انصارنا فانتصرنا بقوم من الاعاجم دخلوا في
ديننا ولنا عبيد واتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق مليا يقلب كفيه
وينكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله
وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز بذنوبكم ولله فيكم نقمة ولم يبلغ
غايتها واخاف ان يحل بكم العذاب وانتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة
ثلاثة فتزودوا ما احتجتم اليه وارحلوا عن بلدي وقيل لبزرجمهر ما بال الدى
السلاسان صار الى ما صار بعدما كان فيه من قوة السلطان وشدة الاركان فقال لانه
كانتنع ولو بكبير الاعمال صغار الرجال وعن هذا قالت العلماء موت الف من العلية اقل
ضررا من ارتفاع واحد من السفلة وفي الامثال زوال الدول باصطناع السفل
وقال الشافعي رحمه الله اضل الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر
معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الافضال وقيل لبعض الملوك
بعد زوال ملكه ما الذي سلبك ما كنت فيه قال دفع عمل اليوم الى غد
والتماس عدة بتضييع عدد وقيل لملك بعد ذهاب ملكه ما الذي
سلب ملكك قال اعطاؤنا من ابصر وطغى ودفع عمل اليوم لغد
وقيل لبعض الملوك ما الذي سلب ملكك فقال شغلتنا لذاتنا عن
التفرغ لمهماتنا ووثقنا بكفاتنا فاثروا مرادهم علينا وظلم عمالنا
رعيتنا فيسدت نياتهم لنا وتمنوا الراحة منا وحمل على اهل خراجنا
فقل دخلنا وبطل عطاء جندنا فزالت الطاعة منهم لنا وقصدنا عدونا
فقل ناصرنا وكان اعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار عنا وقال
بعض الحكماء اسرع الخصال في هدم السلطان وتفريق الجمع عنه اختصاص
العداوات لقوم بالميل الى قبيلة دون قبايل فعلى الملك ان يجتنب قبيلة بعض

بعض من قبايل

بعض من قبايل او فيجعلها قبيل العداوات مفسدة وقال المؤيد ان من زوال السلطان
تقريب من ينبغي ان يباعد ومباعدة من ينبغي ان يقرب وحينيذ حذر زوال العز وقيل
لملك بعد ذهاب ملكه ما الذي اذهب ملكك قال ثقتي بدولتي واستبدادي بمعرفتي
واغفالي استشارتي واعجابي بشدتي واضاعتي الحيلة في وقت حاجتي والتاني عند
عجلتي ولما احيط بمروان الجعدي قال يا لضيعة عزه ولها انصرت وكم ما ضيعت
ونعمة ما شكرت فقال له غلامه وكان من اشراف اولاد الروم من اغفل الصغير حتى
يكبر والقليل حتى يكثر اصابه مثل هذا قيل لبعض العلماء ما الذي اذهب ملك
بني مروان فقال التحاسد في الاكفاء وانقطاع الاخبار وذلك ان يزيد بن عمرو
كان يحب ان يفضح من قصر في سلطانه وكان لا يحدو بالرجال وكان لا يرفع
للسلطان ما يرد عليه من الاخبار فلما راى ذلك قال هذه الابيات

اري خلل الرماد وميض جمر ... فيوشك ان يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب اولها الكلام
فقلت تعجبا ليت شعري ... ايقاظ امية ام نيام

الباب الثالث عشر في الصفات التي زعم الحكماء انها لا تدوم معها ملك

ومن اعجب العجائب دوام الملك مع الكبر والعجب
اعلموا ان العجب والكبر يسلبان الفضايل ويكسبان الرذايل
لان الكبر يكون في المنزلة والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر يجل نفسه
عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استشارة الناصحين
وحسبك من رذيلة تمنع عن استماع النصح وقبول التاديب والكبر
يكسب المقت ويمنع من التالف وكل كبر ذكره الله في القران مقرون
بالشرك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انهاك عن الشرك
بالله والكبر فان الله عز وجل يحتجب عنهما وقال الازدشير الكبر فضل حمق
لم يدر صاحبه اين يذهب به قال الاحنف بن قيس ما تكبر احد الا من
ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكماء تتحامى الكبر وتانف منه قال
الشاعر
فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ... ولكن كبرا ان يقال به كبر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1